صباح ميموني

فضفضة في كتاب

باسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

فضفضة

الفهرس

مقدمة 4
مفهوم حرية 9
شباب منير..... 14
عطية الله 16
بداية عرجاء 18
رسالة اعتذار 20
شكر وتقدير وامتنان 23
الطموح 30
الثقة بالنفس 34

إهداء

إلى روح أبي رحمه الله إلى
أمي التي تعبت في تربيتي
وتعليمي إلى زوجي وأبنائي
الذين دعموني إلى إبنتي
التي كانت سببا في عودتي
إلى فصول الدراسة وإلى
كل حبيباتي في جلسات
الذكر أهدي هذا الكتاب
سائلة من الله تعالى
التوفيق والسداد

مقدمة

كتبت هذه الصفحات في أوقات
عصيبة جدا كانت ظروفي الصحية
والعائلية والمادية جد
سيئة ولكن لم يكن هذا أكثر ما
يشغلني فقد كنت راضية محتسبة
والحمد لله لم يكن هناك من
يحس بمعاناتي ويفهمني كل
المحيطين بي
لا يعرفون كيف أفكر
ولا فيما أفكر وإن حدث وعرفوا
استهزأوا واستخفوا ، فلم أجد
سوى صفحات هذا الكتاب أبث فيه
همي و أحط فيه بعض
حملي الذي أثقل كاهلي راجية من
الله أن يجد هذا الكتاب آذانا
صاغية تتقاسم معي بعض ما
أهمني
وأسأل الله العلي القدير أن
أنفع به وأوفق فيه

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد: اليوم أحببت أن أكتب ، لا أدري من أين أبدأ.
لكن بداخلي تساؤلات وأحاسيس كثيرة.
أردت أن أخرجها وأحررها من قيود نفسي إلى صفحات هذا الكتاب صفحات بيضاء لا شية فيها تماما مثلما كنت طفلة صغيرة ,قلبها صاف خال مما يمكن أن يعكر صفاءه ، حاولت الاحتفاظ بهذا القلب فترة طويلة لكني فشلت أصبحت أغبط الأطفال على قلوبهم ، أنظر إليهم وهم يلعبون ,يمرحون ، ينامون أو حتى يبكون وأقول في نفسي ليتني لم أكبر.. ، ليتني لم أكبر لأعرف كيف الكبار يفكرون ، كيف يحسّون ,كيف يتعاملون فيما بينهم ,خصوصا في زماننا هذا ، لم يعد للصدق مكانا بينهم ، و حسن الظن غادر تفكيرهم ،انقلبت الموازين فأصبح الصادق بينهم غريب ، وصاحب النية الحسنة مغفل !

من يحسن الكذب والمراوغة و يسارع إلى سوء الظن وتحليل النوايا كما يشتهي إنسان أحوط .
من يتحدث كثيرًا عن نفسه دائما في الواجهة,
ومن يعمل في صمت لا أحد يكاد يراه ، من يتحدث عن نفسه بإجلال ، يعظمونه و من لا يحب الحديث عن نفسه لا يقدروه فأين نحن من كتاب اللّٰه وهدي النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ألم نقرأ قول اللّٰه تعالى (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) سورة النجم آية : 32.ألم يخبرنا النبي صلى اللّٰه عليه وسلم في حديثه الشريف أن المرء إذا تحرى الصدق كتب عند اللّٰه صديقا وإذا تحرى الكذب كتب عند اللّٰه كذابا ,ألم نسمع كلام اللّٰه عزوجل : (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم)الحجرات آية : 12 لماذا لا نقدر قيمة كل هذا ونحسه ونعمل به في جميع أمور حياتنا لماذا نسمح لأنفسنا بالإنزلاق عن منهج اللّٰه الذي اختاره لنا والذي هو أعلم بما فيه الخير لنا لأنه هو خالقنا وخالق هذه النفس البشرية وهو أعلم بما يردعها ويحميها من غيابات الحياة.

أصبحت أعتصر ألما على قيم ضاعت و قلوب اسودت بعدما كانت بيضاء صافية ، أصبحت أخشى على نفسي وقلبي أن يعمهما السواد وتضيع معهما روحي . أخشى على أبناءي أن تفسد فطرتهم التي فطرهم الله عليها، أكابد حتى أحميهم من معتركات الحياة ، أبلغ كل جهدي في تلقينهم تعاليم دينهم حتى يكون لهم سفينة نجاة في هذه الحياة وما أصعب ذلك في عصرنا هذا,عصرالعولمة والإنفتاح على ما يسمونها ثقافات.

ثقافة الموضة والأزياء, ثقافة الفن والغناء.

ثقافة الإمعة العمياء ، يسمون الأشياء بغير مسمياتها ويلعبون بعقول أبناءنا وشبابنا يجرونهم جرا يسلونهم انسلالا من عقيدتهم طمسوا عقولهم محوا هوياتهم شككوهم في علمائهم أفسدوا تربيتهم ففككوا أسرهم ، فأصبح شبابنا ليس لديهم أي انتماء. لا لهوية ولا لدين ولا حتى لأسرة فأصبحوا كشجرة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار فأنى تؤتي أكلها.

أأسف على حال شبابنا اليوم أبكي دما على أمة كانت خير أمة أخرجت للناس . فأين خيريتنا بل أين نحن من ديننا الذي هو عصمة أمرنا . كنت أظن أن التربية أمر يسير كل ما علينا هو تلقين أبنائنا ما هو صالح وإبعادهم عما هو طالح لكني صدمت بالواقع المرير وأننا لسنا وحدنا من نربي أبناءنا ، فهناك أشياء تسرق منا فلذات أكبادنا وتجعلهم يميلون عن تربيتنا، فالتلقين لم يقتصر على الوالدين أو على المدرسة أو المسجد، كما كان الحال في الماضي. عندما كنا صغارًا ، كنا نحترم الكبار ، نحترم الأب والأم ، نحترم المعلم وإمام المسجد ، الحال الآن تغيرت أصبحت وسائل الإتصال الكثيرة تدخل بيوتنا ، تخرب عقول أبنائنا ، تنقل لنا أشياء غريبة عنا, تزين الباطل و تقصي الفضيلة، تتفه أحلامنا وتسخر من آمالنا في جيل ناشىء سليم العقل والبدن.

مفهوم حرية

أحس أن على عاتقي مسؤولية ثقيلة كالجبال، أني في امتحان أخشى الرسوب فيه ، أحس أن كل الشباب أبنائي وأني مسؤولة عنهم ،أريد مساعدتهم والأخذ بيدهم لكن لا أعرف كيف ، لا أريد أن يستفيق الشباب على كذبة سموها الحرية ، والحرية بريئة منهم . ومن دعاواهم الباطلة ، الحرية ليست في التمرد على الأهل والدين ، الحرية ليست التجرد من الأخلاق والقيم ولا في التلفظ بالكلام البذيء وليست في التقليد الأعمى، الحرية ليست في سب الدين والوطن، الحرية ليست أن أقول ما أشاء وأفعل ما أشاء وقت ما أشاء ، الحرية ليست التمادي في الخطأ والإنفلات من المسؤولية ورمي اللوم على الآخرين.

أن تكون حرا يعني أن تكون أصيلاً لك هوية وانتماء أن تكون أنت، أنت ، أن تلبس ثوبك لا ثوب الآخرين أن تفتخر وتتحدث بلغتك لا لغةً لا تكاد تفهمها أو حتى تنطق بها ,أن تكون حرا يعني أن تكون لك إرادة وخيار لا أن يقودك من هب ودب نحو طريق لا تعرف نهايته.

أن تكون حراً يعني أن تكون شريفا لا تقبل إلا شريفا، أن يكون لديك تفكير حر ,نقي لا يقيده تقليد أو هوى ، هكذا علينا النظر إلى الأمور فكل من يقوده هواه وتتحكم فيه نفسه الأمارة بالسوء فهو عبد ، عبد للهوى والنفس ، وما أكثر العبيد في زماننا ، عبيد المسلسلات والأفلام عبيد الألعاب ومواقع التواصل, عبيد الأزياء والموضة, عبيد الفرق الرياضية... مع العلم أنني لست ضد الرياضة, بل على العكس أنا أشجع أبنائي على ممارستها ويسعدني عندما أراهم أصحاء أقوياء ، ولكن تحفظي على التعصب لهذه الفرق حتى أصبحنا نرى شبابنا ينقسمون إلى فرق متطاحنة وقد ينتمون إلى أسرة واحدة ويتبادلون السب والشتم ، تعصبا لفرقهم المفضلة

أحيانا ينتابني شعور بالغضب وفي كثير من الأحيان بالعجز ,لا أدري أأغضب من هؤلاء الشباب أم أرثي لحالهم كيف كانوا أحرارًا وأصبحوا عبيدا ، يتخبطون في سجن العبودية, يضعون قيودهم وأغلالهم بأيديهم، فما أجمل أن تكون حرا و عبدا لله وحده لا تشرك معه شيئاً حينها فقط ستفهم وتتذوق طعم الحرية الحقة ..من الصعب أن ترى مجهوداتك تذهب سدى ,من المؤلم ألا يقدر الأبناء حجم خوفنا عليهم واهتمامنا بهم ويفسرون هذا الاهتمام على أنه تدخل في شؤونهم وفرض سيطرة عليهم لا يعلمون أنهم لن يجدوا صدرًا أحنّ عليهم من صدرنا عندما تلطمهم أمواج الحياة وتلعب بهم السنون.

أتساءل كيف سيكون حال هؤلاء الشباب عندما يصبحون آباء وأمهات بدورهم ، هل سيعلمون حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، هل سيكونون لأبنائهم قدوة . هل سينتجون لنا جيلا هو أكثر انفلاتا وتمردا ، أم أنهم أصلا لن يفكروا في تكوين أسرة أو إنجاب وما يتبعه من تربية ورعاية ، ما دامت الحياة صعبة ، وأكثرهم لا يعرف كيف يعيش ولا يكاد يتحمل حتى مسؤلية نفسه , فلا دراسة لا عمل لا طموح ولا مستقبل ,فكيف سيفكر في فتح بيت أو تكوين أسرة ، شباب غارق لا يستطيع حتى مد يديه ليتعلق بقشة لأنه هو لا يريد، يعيش كالغريق بإرادته لأنه هو من ألقى نفسه بين الأمواج تتخبطه خدعوه دعاة التحرر والاستقلالية ، سمعهم فتبعهم وطرب لندائهم ، تأثر بخطبهم المنمّقة وإدعاءاتهم الباطلة ,حتى أنه كره قارب النجاة لا يريد رؤيته ولا التفكير في صعوده ، ويظن أنه حرّ وسط الأمواج.

ما فائدة حرية آخرها غرق ,ما فائدة حرية لا تصنع الحياة، حرية عمياء لا تبصر الطريق, لا تعرف من أين بدأت وإلى أين ستنتهي ، يظن - أو هكذا أوهموه -

أنه إن ركب القارب فقد حريته ، وأصبح سجين الأهل والتقاليد ,سجين العرف والدين ,سجين الأخلاق والقيم ، سجين هذا حلال وهذا حرام، سجين الدراسة والالتزام سجين العمل والمسؤلية سجين الطموح وصناعة المستقبل ، اختلطت عليه الأمور واختلت لديه كل الموازين . ففقد قيمة الحياة .

فما قيمة الحياة بدون أهداف نسعى لتحقيقها ألم يكن أول هدف لنا نحن البشر هو العودة إلى الجنة من حيث بدأ أبونا آدم عليه السلام ولنصل إلى هذه الجنة ،ألا تستحق أن نجاهد أنفسنا ونعمل كل ما في وسعنا لنيلها قال الله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ..

ولماذا لا نجعلها جنتين جنة في الدنيا وجنة في الآخرة. بالعمل والجد وبالحياة السليمة.

شباب منير

لا أنكر وجود شباب رائع متميز رغم كل المتغيرات لم يغير ولم يبدل في تربيته وأصله شيء ,بل ثبت على قيمه وأخلاقه ،على مثل هؤلاء الشباب نعقد الآمال ونبني الأحلام في النهوض بهذه الأمة والسير بها نحو الأمام ، شباب على الرغم من قلتهم إلا أنهم هم من ينيرون لنا الطريق وسط الظلام الحالك شباب متزن، يجمع بين النجاح في الدنيا والنجاح في الآخرة بين رضا اللّٰه ورضا الوالدين ورضا من حولهم وبالتالي رضاهم عن أنفسم ، من منا لا يحلم أن يكون أبناؤه من هؤلاء ، شباب حر طيب ,كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ,لماذا لا نشجعهم ,لماذا نعيب على إلتزامهم وعلى حيائهم،لماذا نعيب على احترامهم لمن هم أكبر سنا منهم ونفسّره على أنه ضعف شخصية ,قد تعرض على أحدهم سيجارة فيرفض تدخينها فيتهم في رجولته ، قد تلبس الفتاة ثوبا ساترا فتعاب في أنوثتها وأناقتها وتنعت بالمعقدة..

الرجولة ليست في سيجارة أو عضلات ,وإنما الرجولة هي موقف وثبات, فالرجل كالجبل يصمد أمام الرياح والعواصف لا يهزه شيء الرجل هو الذي يتحكم في نفسه وعواطفه ولا يجر من أذنه كما يجر الطفل الصغير .هذا هو الرجل الحقيقي .
وليس معنى الأنوثة أن تبديها لكل من هب ودب ، وليست الأناقة عرض الأجسام في الشوارع كما تعرض السلع، وصدق من قال :الفتاة كالزهرة والحياء عطرها فإن ذهب الحياء فقدت الزهرة أحلى ما فيها، والحياء شعبة من الإيمان فإن ذهب الحياء ضاع معه الإيمان .
فيا ليتنا نفهم ولا نعيب على أحد اختار طريقه بوضوح واستقامة ، لماذا ندعي الديموقراطية في جميع الأحوال وننفيها في أهمها، لماذا نقول عندما نرى الأزياء الفاضحة تملأ شوارعنا أنها حرية شخصية ولا نتدخل، وإذا ر أينا التزاما وحياء أكثرنا من اللغو وعبنا وتدخلنا بل وحتى في بعض الأحيان اعتدينا بالألفاظ الجارحة ، فلنراجع أنفسنا قليلا ولنحسن في كلامنا ولنقسط في أحكامنا فإن الله يحب المحسين ويحب المقسطين.

عطية اللّٰه

كثير من الأمهات قد ترهقهن تربية أبنائهن و تتعبهن كثرة النصح والتوجيه المقابل بالإنفلات, وأحيانا بالتمرد فيصيبهن ذلك بالإرهاق الشديد الذي يتحول فيما بعد إلى عصبية مفرطة ، قد تخرج بهن عن المسار الحقيقي للتربية ، فقد تصبح الأم عدوانية في كلامها مع ابنها في تصرفاتها معه ,كأن تسبه وتهينه أمام أصدقائه. وقد يصل بها الأمر للضرب أمام الملأ ، وهذا من المدمرات لشخصية الأبناء ،ومما يزيد الطين بلة ويوسع الهفوة بين الأم وابنها أو ابنتها سواء كان الابن طفلا صغيرا أم مراهقا. فكل له أحاسيه وكرامته فليس معنى أننا أمهاتهم أننا أصبحنا نملكهم فكلنا ملك لله وحده ، وليس من حقنا إهانتهم وتدميرهم بل هم نعمة من اللّٰه ,وعلينا الحفاظ عليها وصونها ,وسنسأل عنها أمام اللّٰه تعالى ,أحفظنا أم ضيعنا، فالله المستعان و هو وحده القادر على صلاح الأبناء وليس نحن ،نحن علينا فقط الأخذ بالأسباب ، أن نبلغ الأمانة ونعلمهم ما ينفعهم في حياتهم وآخرتهم ونحسن إليهم وندعوا لهم. والهداية من اللّٰه وحده هو الهادي سبحانه. قال تعالى لنبيه الكريم(إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللّٰه يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) .

ولا ننسى أن ابن نبي الله نوح عليه السلام في النار وإن كان أبوه نبيا . فلا يعقل أن نبيا اختاره الله لهداية الناس لن يحسن التربية أو التوجيه.
فالهداية كما قلت بيد الله وحده نحن علينا فقط التوكل على الله في تربيتهم وتحمل كامل مسؤولياتنا في رعايتهم وأن نتقي الله فيهم ونحبهم رغم عيوبهم وأخطائهم ونسأل الله أن يهديهم ويحفظهم من كل سوء.فدعواتنا سترافقهم أينما كانوا وبحول الله وقوته لا بحولنا وقوتنا ,ينصلح حالهم .
وفي الأخير أدعو كل إبن أن يتقي الله في والديه ولايرهقهما في تربيته وإن قسوا في بعض الأحيان ، عليه أن يلتمس لهما الأعذار ,وكثيرا ما يكون الخوف عليه أولها . أو قد تكون بعض المشاكل الحياتية التي لا ندركها ونحن صغار حتى نكبر ونصبح بدورنا آباء وأمهات، فكلما كان الابن مطيعا لوالديه . كلما تيسرت له أمور حياته وسعد في آخرته .فينال بذلك رضا الله ورضاهم كما في الحديث الشريف (رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين) وصلى الله وسلم على سيدنا محمد

بداية عرجاء

أشعر بالسوء عند ما أرى أمهات وآباء يتحدثون بسخرية واستهزاء ويسردون قصصا لأناس يصلون ويتعاطون الكذب والغش والخداع. ويتباهون هم بكونهم لا يصلون ولكنهم صادقون لا يغشون ولا يخدعون أحد. كلام قد يكون حقيقي لكنه موجع فعلا...لكن لا يجب أن ننسى أنه لا أخلاق بلا دين ولا دين بلا أخلاق ، ولا نتباهى بكوننا نملك واحدا منهما بل علينا الاعتراف بتقصيرنا نحو خالقنا إذا لم نصلي ونعبده كما أمرنا وأننا مقصرين اتجاه أنفسناودينا إن لم تكن لدينا أخلاق وقيم نعرف من خلالها بديننا العظيم الذي به تستقيم هذه الحياة ,من هنا تكون البداية من أنفسنا فلنحاول التشبث بالأخلاق والدين، نلقن هذا لأبنائنا قدر استطاعتنا بدون ضغط أو عنف وكذلك بدون تهاون أو تنازل فإن ضغطنا تمرد الأبناء وصعب علينا السيطرة عليهم أو التقرب منهم . وإن تنازلنا وتهاونا في مسؤولياتنا قد يسلكون الطريق الخطأ فيضيعون ويضيعون دينهم فتضيع بدونه حياتهم.

فالبنت ستكون أما علينا تلقينها ما يجعلها تكون أما صالحة تصنع لنا جيلا صالحا, والإبن هو أب المستقبل علينا زرع حس المسؤولية فيه كي يكون خير راع لغير رعية فيتحقق بذلك الخير للجميع ، للفرد للأسرة وللمجتمع عامة. للأسف بسبب التغيرات, المادية وغلاء المعيشة وزيادة متطلبات الحياة أصبحت العائلات عندما يتقدم أحد لخطبة بناتهم ، أول ما يسأل عنه الخاطب راتبه، ثم بعد ذلك أخلاقه فإن كانت هذه الأخيرة سيئة وكان ميسوراً ويمتلك بيتا مثلا.. حينها نقول.. سيهديه اللّٰه , وآخر قد تكون حالته المادية جد بسيطة، لكنه يمتلك أخلاقا ودينا فلا نقول سيرزقه اللّٰه . أصبحنا نخاف من نقص الماديات أكثر من خوفنا من النقص في الدين ننسى أن اللّٰه سبحانه الذي يهدي و هو الذي يرزق و يبارك, فنصبح أبعد مانكون عن حديث رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) وصية من رسول اللّٰه تكتب بماء الذهب لكننا لا نطبق سنته صلى اللّٰه عليه وسلم في حياتنا لذلك أصبحنا نرى حالات طلاق كثيرة لأسباب أحيانا خطيرة وأحيانا تافهة لانعدام التيسير وذهاب البركة.

رسالة اعتذار

قد يسمع البعض كلامي ، فيظن أني أحسنت الأمومة أو أني أم مثالية لكن الواقع غير ذلك ، فكم من أخطاء ارتكبتها مذ أصبحت أما. والآن أنا أتقدم بالإعتذار لأبنائي الأحباء على سوء فهمي لمعنى الأمومة ، أعتذر على كل ما عملته ومالم أعلمه. لم أتمتع بالليونة الكافية في تربيتي لأبنائي ,فخوفي عليهم من مطبات الحياة وخوفي من اكتسابهم العادات السيئة, جعلني أصبح متعنتة في كثير من الأحيان في توجيهي لهم, أطالبهم ,بالانضباط في سن صغيرة جدا، خصوصا مع ابنتي الكبرى، وكان هذا أكبر خطأ أرتكبه في حق ابنتي الحبيبة, اكتشفته في وقت متأخر جدا كانت هي قد ضاقت ذرعا بتصرفي . أعطيتها انطباعا ومفهوما سيئا عن الانضباط ,عوض أن أترك لها المجال كي تخطئ وتتعلم من خطئها وتكتشف لوحدها أن الانضباط شيء مفيد وجميل . كان علي أن أكون أكثر لينا ومرونة معها، وأن أغض الطرف عن هفواتها الصغيرة.

عندما أتذكر هذه الأمور أشفق عليها وعلى ابني الثاني كان أكثر هدوء منها ,مطيعا زيادة لكني أشفق عليه أيضا كلما أتذكر انصياعه وخضوعه. أما ابني الصغير ,فقد كان أكثر حظا منهما ,فقد كنت وصلت إلى ما أنا عليه الآن من وعي للمسؤولية الملقاة على عاتقي والتي أطلب من الله أن يعينني عليها وأن يغفر لي ما سببته لأبنائي من سوء . أنا الآن أطلب منهم .. أن يسامحوني على جهلي وتقصيري في فهمهم كنت أظن أنني على صواب ,ولم أتصور يوما أن أخطاءهم يمكن أن تكون سببا في صلاح سلوكهم ,أنا نادمة الآن . وأتمنى من كل أم أن تفهم ما أعنيه ، لهذا أقول أن الزواج ليس فقط زفاف و مهر و عقد قران, بل هو ميثاق غليظ ستبنى عليه حياة أبناء سنتحمل مسؤليتهم أمام الله جل وعلا ,حياة يجب أن تكون سليمة طيبة مليئة بالحب والحنان ,لنربي بذلك جيلا صالحا وأبناء أسوياء طيبين.

أحمد الله على أبنائي ,أحبهم جميعهم على إختلاف شخصياتهم وأحبهم كما هم, بأخطائهم بهفواتهم بكل أحوالهم ، أحس نفسي الآن قريبة منهم أكثر ، مرتاحة في العناية بهم ورعايتهم، حتى هم ,أصبحوا أكثر صراحة ووضوحا معي أصبحت تتضح ملامح شخصية كل واحد منهم فليس من الممكن أن يكون كل أبنائنا متشابهين أو نسخا مكررة منا، فكل له سماته وطبائعه وهذا ما يجعل الأسرة متكاملة بأفرادها متماسكة مترابطة, كل فرد يكمل الآخر نستطيع أن نحقق كل هذا بفهمنا الجيد للأمور وبتوكلنا على الله حق التوكل والله هو المعين.

شكر وتقدير وامتنان

لأمي المكافحة، ...أم لثلاث بنات كنت أصغرهن. مات أبي في الشهر الثالث بعد ولادتي ، أختي الكبرى خمسة أعوام والوسطى ثلاثة، إلى أين ستذهب هذه الزوجة المكلومة ، بثلاث بنات صغار لم يكن لها معيل من بعد الله سوى أبي رحمه الله ، وكان قد عودها قضاء جميع احتياجاتها من غير أن تخرج هي أو تتكبد أي عناء, المهم أنه ذهب وتركها لا مال لا منزل لا معيل ، عملت في الخياطة حتى توفر لنا ضروريات العيش، حتى أصبحنا أكبر قليلا فخرجت إلى العمل خارج البيت وقد أصبحت متطلباتنا تزداد مع مرور الوقت عملت في كل مكان تستطيع العمل فيه, في معمل بلاستيك، في معمل للسمك، في محل كراء أدوات الأفراح، في المكاتب... كانت عاملة نظافة تجيد عملها وتتقنه.

كانت أمي تغادر في الصباح الباكر ونور الصباح لم ينشر ضوءه بعد فى الأرجاء .تتركنا نائمات أنا وأختيّ أتذكر وصاياها قبل أن تغادر وهي تهمس لكل واحدة منا في أذنها ونحن نيام بأن نلبس جيدا ،فالجو بارد في الخارج وأن نأكل جيدا، ولا ننسى وقت المدرسة فهي لا تنسى ضبط المنبه على السابعة بعدما أيقظها هي في الرابعة صباحا ، لم نشبع حضن أمنا أبدا كانت تغيب اليوم كاملا ,لا تحضر معنا وجبة الغذاء ،كنت أنا من تصل الأولى إلى البيت، كانت معي مفاتيح المنزل وكذلك أختيّ ، كنت أفتح الباب أدخل لا أجد أحدا ينتظرني أجد البيت باردا، جامدا، لا حركة فيه. لا رائحة طعام ،ولا رائحة خبز، ولا رائحة أمي ،..كنا صغيرات جدا ولكن كنا نحس بالمسؤلية التي علينا ، .علينا أن نحمي أنفسنا وألا نؤذي أمنا فينا ,كنا نحس بمعاناتها وبخوفها علينا، وهي في عملها لا تفتأ تفكّر فينا هل نحن بخير، هل أكلنا، هل شربنا هل ذهبنا الى المدرسة أم لا ! هل عدنا !

كانت تمر بأوقات عصيبة وهي تسمع صفارة الإسعاف تمر أمام مكان عملها، وكثيرا ما طلبت من رب العمل وتوسلت إليه ليتركها تغيب ساعة, لتطمئن علينا، كانت تركب حافلتين لتصل إلى البيت فتجدنا والحمد لله في حفظ اللّٰه ورعايته ، وهكذا كان حالنا دائما وكأن اللّٰه كان يحفظنا إكراما لأمنا (و كان أبوهما صالحًا) كانت تعمل بما يرضي اللّٰه ,لم تدخل علينا يوما درهما حراما ,كانت تفضل الحلال ولو كان قليلا و صعب المنال ,وتكره الحرام وإن كان سهلا وعرض عليها كثيرا ,لكنها كانت تخاف اللّٰه وتتقيه وهكذا يكون العبد المؤمن ،يتقي اللّٰه في أبنائه فلا يطعمهم إلا حلالا حتى يبارك اللّٰه له فيهم ويرضيه فيهم .
هكذا كانت حياة أمي تغادرنا في الصباح الباكر تعمل طوال النهار ولا نراها إلا في المساء متعبة منهكة لا تكاد تفتح عينيها من شدّة التعب تتحدث معنا قليلا تعرف أخبار يومنا .
يمر الوقت سريعا حتى يأتي وقت نومنا بعد ما نقوم بواجباتنا المدرسية,

ونساعد أمنا قليلا طبعا هذا بعد ما كبرنا، أما قبل ذلك فقد كانت أمي تقوم بأعباء البيت كاملة وحدها ،وفي الليل تجهز لنا طعام الغد...
الحمد لله، أكرمنا اللّٰه بأم كأمي كانت فعلا أما وأبا في وقت واحد, لم نشعر أبداً بغياب والدنا ,كانت أمي تعتني بنا على الرغم من غيابها الطويل عن المنزل كانت ملابسنا دائما نظيفة ، كانت أمي في يوم راحتها "الأحد " تقوم باكرًا وتوقظنا لتأخذنا لحمام الحي, عند ما نقوم نجد أمي قد نشرت ملابسنا لتجف بعدما غسلتها في الصباح الباكر ونحن نيام ,كان حمام الحي من الطراز القديم, يفتح أبوابه في الساعة السابعة صباحا، إذا لم نلتحق بطابور الصف الطويل لن نجد مكانا ويمر وقت طويل حتى نستطيع الاستحمام ، كان ساخنا جدا ومكتظا لدرجة الغثيان ، كان يوم الاستحمام لأمي كيوم جهاد ,وليس راحة كانت تغسل لنا نحن الثلاثة الواحدة تلو الأخرى ولا تأبى إلا أن توصل كل واحدة منا إلى مكان إرتداء الملابس ,وتلبسنا ثيابنا كاملة لوحدها ولا تريد المساعدة منا، بحجة أننا سنصاب بنزلة برد.

مرة سألتني أستاذة لي أين يعمل أباك؟ فأجبتها : أبي متوفى مذ كُنت رضيعة, وكم كانت دهشتها كبيرة عندما علمت أن أمي من تعيلنا وأنها عاملة نظافة ، قالت لي : كنت أظنك ابنة أستاذ أو أن أباك يعمل في بلاد المهجر! كم كان انبهارها وإعجابها بأمي شديدًا ، كيف تمكنت امرأة كهذه من العناية ببناتها على هذا النحو خصوصا أننا كنا ثلاثتنا متفوقات في الدراسة ، كانت أمي تراجع معنا دروسنا على العلم بأنها أمية ,لا تعرف القراءة ولا الكتابة ، عندما كبرنا وعلمنا ذلك ,سألناها كيف كنت تفعلين؟ قالت : كنت أدعوكن للاستظهار ,إذا استرسلتن ,قلت لكن : جيد !وإن أصدرتن ولو تأتأة بسيطة طلبت منكن إعادة الحفظ ... فما أروع أمي !.

مهما شكرت أمي أو قلت عنها فلن أوافيها حقها، أتذكر أمي في يوم راحتها لم تكن ترتاح ،فبعد الحمام كان عليها الذهاب إلى السوق الأسبوعية ،لتوفر لنا مصروف الأسبوع ،من خضر ومواد غذائية ، أحيانا كانت تأخذني معها كنت أرى براعتها في تسيير ميزانية محفظتها الصغيرة ، كنت أرى كيف كانت تشتري لنا كل ما نحتاجه دون إفراط أو تفريط ، لم نحس يوما أننا بحاجة لشيء على الرغم من عيشتنا الجد بسيطة ,لم يكن ينقصنا شيء والحمد لله. وبعد العودة من السوق تحضّر أمي لنا الطعام ، نلتف حول مائدة الغذاء ..مع أمي ! بعدها تذهب أمي لتستريح قليلا ,وسرعان ما نجدها قد قطعت استراحتها لتقول لنا استعدوا لآخذكم في جولة في المدينة، كنا نسعد كثيرًا بهذا اليوم على الرغم من أنه كان يمر سريعا إلا أنه ترك أثرا كبيرا في نفوسنا ,لم تكن أمي تهتم براحتها بقدر ما كانت تهتم بإسعادنا ..

أمّي لم تكن لديها أم..و لم تعرف حنان الأم .. ماتت أمها وهي في سن صغيرة جدا، تزوج والدها ،لم تعش في بيت والدها كثيرًا, كانت تارة عند خالتها وتارة عند خالها, حتى تزوجت على يد هذا الأخير بأحد معارفه الذي هو أبي، لكنه مات سريعا وتركها تواجه الحياة وحدها، رحمة اللّٰه عليه، كانت تحكي لنا أمّي عن أبي أنه كان رجلا طيبا ,يعمل في الأشغال العمومية ، عاشت معه أياما طيبة لكن سرعان ما انتهت بسرعة كما بدأت رحمك اللّٰه يا أبي و حفظك اللّٰه يا أمي.

الطموح

لم أعرف شيئا عنه غير الإسم, لم أكن أدري ما هو ولم يحدثني عنه أحد، كبرت داخل بيت بسيط جدا أنا وأختيّ وأمي التي كان كل همها البحث عن لقمة العيش والمحافظة على بناتها وألا يصيبهم أي مكروه خصوصا أنه لم يكن لديها أحد يساعدها أو تلجأ إليه إن حدث شيء لا قدر الله ، خوفها الشديد علينا جعلها تحدّ لنا من هذا الذي يسمى الطموح ..كانت تخاف إذا سمعتنا نتحدث عن أحلامنا المستقبلية، وتقول إحدانا أنا أحلم أن أصبح طبيبة وتقول الأخرى : أنا سأكون صحفية وتقول الثالثة : وأنا أريد السفر لأكمل تعليمي خارج البلاد، أتذكر يوما عندما أخبرتها أنني أريد أن أصبح طبيبة ,ردت علي أمي بوجه عبوس: نعم ! ! لتُخطئي في عملية جراحية وتتسببي بموت المريض فتحبسين.وهكذا كان ردها على أختي في يوم كنا نشاهد فيه نشرة الأخبار ونسمع للمذيعة وهي تنقل الخبر ,فعبرت أختي عن إعجابها بمهنة الصحافة وقالت أحب أن أكون صحفية فعبست أمي مجددا ونظرت إليها وقد زاد خوفها الذي بدا واضحا في نبرة صوتها وقالت:جيد جدا ! تعملين صحفية ليرسلوك إلى بلاد فيها حروب فتقتلين هناك بالرصاص !

ولكن أكثر ما أضحكني وقتها ردها على أختي التي كانت تريد السفر خارج البلاد للدراسة, قالت لها أمي : اذهبي وعندما تضعين رجلك في الطائرة ستسمعين خبر وفاتي حزنا عليك .. أمي المسكينة كانت مرتبطة بنا كثيرا وكنا كثيرا ما نسمعها تردد للجميع : حياتي هي بناتي، أنا لا ألوم أمي على شيء, لأن كل ما كانت تفعل كان بدافع الحب والخوف علينا، أمي كانت تعلم أن بناتها ليس لديهن من بعد الله سواها ,وهذا ما جعلها تحس بالمسوؤلية الزائدة والخوف المبالغ فيه أحيانا. قد يرجع هذا إلى كونها هي أيضا عاشت وحيدة يتيمة الأم عانت كثيرا منذ نعومة أظافرها لم يكن لديها من يعتني بها ولا من يمسح دمعتها تعرضت لكثير من الضغوطات النفسية والإجتماعية منذ أن ماتت أمها وهي لاتزال صغيرة حتى أنها لا تعرف ملامح وجه أمها ..

تزوج والدها ، لم تكن تتفاهم مع زوجة أبيها ، حالها كحال أغلبية الربائب ،زوّجها جدّي في سن صغيرة جدا من شخص يكبرها سنا لم تكن حتى تعرف معنى الزواج, كانت لا تزال تحب اللعب في الشارع مع من هنّ في مثل سنها حتى أصبح الزوج يشتكي منها، فطلقها ، عاشت متنقلة بين بيوت أخوالها تساعد زوجاتهم في أعباء البيت وتربي معهن أبناءهن, لم تعرف أمي معنى الاستقرار العائلي إلا بعدما تزوجت أبي - رحمه الله - فترة لم تدم طويلا، مات وترك لها ثلاث بنات جعلت منهن كل عائلتها ،بل وكل حياتها. الآن نحن ثلاثتنا متزوجات ,وكما أرادت أمي ربات بيوت. لدينا زوج وأبناء والحمد لله ، نجحت أمي بفضل الله في الحفاظ علينا حتى أصبحنا بدورنا أمهات, نحس بما كانت تحس به من خوف وقلق على فلذات أكبادنا ...

لكن بداخلي إحساس دائم أنه كان علي القيام بشيء ما، أحس بالندم على أوقات ثمينة ضاعت وطاقات أهدرت ،كنا متفوقات في الدراسة لم نستفد من هذا التفوق بشيء ، لم نتميز بشيء ، كنت أطمح أن أكون فاعلة في المجتمع أن أفيد وأستفيد ولو من بعيد ، أنا الآن أحاول زرع الطموح في أبنائي, أحثهم على اكتشاف الأشياء التي تميزهم في سن صغيرة أساعدهم على تنمية مهاراتهم الذاتية أخاف عليهم أن يفقدوا الرغبة في التميز والتألق ,أريد لهم النجاح في حياتهم وألا يكونوا أصفارا على الهوامش.. ألا يكون مرورهم في هذه الحياة بدون أثر ,وأن يساهموا ولو بشكل يسير في عمارة الأرض، أريد أن تكتب أسماؤهم في لائحة الخلافة ,التي استخلفنا الله إياها ,قال تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون)...

الثقة بالنفس

الثقة بالنفس شيء رائع ! يجعلنا نحسن التصرف في أمور حياتنا ، مضت علي فترة طويلة لم تكن لدي ثقة بنفسي, كنت أظن أنني لا أحسن فعل شيء ,ولا حتى الكلام ,كنت أتلعثم لمجرد الشعور أن أحدا ينصت إلي ، بداخلي أشياء أعتبرها رائعة ومهمة، لكن سرعان ما أفقد التركيز عندما أحاول التعبير عنها ,فتهرب مني الكلمات وتخونني العبارات ,فتجدني مغيرة حديثي عما كنت أود الخوض فيه, لدرجة تجعلني أبدو سخيفة أمام نفسي فما بالك بمن يسمعني, لا ألوم أحدا في حكمه عليّ ,لأن العيب فيّ ، بحثت كثيرا عن الثقة من أين تكتسب ! هل من المظهر الجميل، .أم من الرصيد المعرفي، .أم من كسب نصيب مهم من المال أو المكانة الإجتماعية والمنصب المرموق، تأملت كثيرا فيمن حولي وممن اجتمعت فيهم هذه الصفات, فوجدتهم أيضا يعانون مثلي قد يكون ذلك بدرجات متفاوتة لكن الداء واحد ،فما الذي يجعل أناسا قد يكونوا ناجحين -فيما يبدو- في حياتهم أو محظوظين في امتلاك أشياء ليست لدى غيرهم, يعانون مما أعانيه, وأنا التي اعتقدت أنني لو كنت أنهيت دراستي وعملت في إدارة ما لكنت أكثر ثقة وقوة..

لكني اكتشفت أني كنت واهمة، اكتشفت أن انعدام الثقة لا يأتي من فراغ, فالعلة لا تكون إلا بسبب يشترك فيه كل من يعاني هذا الداء ,وقد يكون المتسبب فيه هم أقرب الناس إليك ، قد يكون أبا قاس أو أما غير واعية أو إخوة مستهزئين متنمرين، أو زوجا كثير الغضب والصراخ ،كثير الملاحظات، أو معلما متسلطا، وقد يكون محيط كامل متصيد للعثرات ،.. فأنى يكون لمن عانى من مثل هؤلاء ,أن يصبح شخصا سويا ,وأن يسير في درب الحياة بخطى ثابتة، راض عن نفسه ,لا يندم على قراراته، هذا و إن استطاع أصلا أن يقرر في حياته أو يغير فيها شيئا فرض عليه لا يرضى عنه ولم يكن يسعى إليه، بمثل هذه الصفات الشنيعة . نصنع جيلا مريضا ،نحكم عليه بالعيش ميتا لا يُحس بطعم الحياة حتى وإن مرت به أوقات عليه أن يسعد بها لا يتذوقها ولا يشعر بلذتها لذلك نرى أشخاصا ينتكسون رغم نجاحهم ، مثلهم كمثل شجرة جذورها في الأرض وأوراقها تنشر ظلالها في الأرجاء ،ولكن إن نظرت بداخلها وجدت السوس قد أكل لبها فأصبحت خاوية لا تقوى على الاستمرار في التشبث بالأرض فتسقط وتنتهي ،.. فالرحمة, ..الرحمة.. بمن تعولون.. بمن تربون الرحمة بمن تدرّسون أو تستأجرون .، أنتجوا لنا جيلا سليما قويا معافى نفخر ونرتقي به، يرضى عن نفسه فنرضى عنه..

ظللت أتخبط في مثل هذه التساؤلات وقتا طويلا إلى أن وجدت من ينقذني من حيرتي ويزيل ما قد ران على قلبي وعقلي، كنت أسمع له بشغف كبير وكأني ولدت من جديد ، كان له أثر كبير في حياتي ، بفضله أصبحت أكثر ثقة بنفسي، عرفني على ربي ، وأنقذني من غفلتي وجهلي . لم يكن الدكتور فريد الأنصاري عالما عادياً ، بل كان عبقرياً في التأمل والتحليل ، يدخل إلى مكامن النفس البشرية ، يبحث عن كل سؤال يمكن أن يدور بخلد كل واحد منا ويجيب عنه بحكمة بالغة وتفصيل مشوّق. وكم أثرت فيّ كلماته وهو يتحدث عن العبد المؤمن إذا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فقال وهو يخاطب هذا العبد الضعيف : (..إن كانت الحاجة فقرًا فأنت عبد الغني ..وإن كانت الحاجة خوفا فأنت عبد الجبار ..و إن كانت مرضا فأنت عبد الشافي المعافي ..وإن كانت ظلما فأنت عبد القهار) حينها فقط فهمت معنى أن تعرف الله حقا وتعبده بأسمائه وصفاته وتدعوه بها فيريك الله من عظيم هذه الصفات .فسبحان الله القوي العزيز الكريم.. رحم الله الشيخ وجزاه الله عني وعن الأمة خير الجزاء .

الحمد لله
الذي
بنعمته
تتم
الصالحات

صباح ميموني

لاتنسوني ووالدي
من صالح دعائكم
وللأمة الإسلامية
جمعاء.